مكة حرسها الله تعالى/١٤٤٣هـ

سلسلة الرسائل (١٢)

الإيضاح أن التسويف عدو النجاح

للشيخة أم عبد الله بنت الشيخ
مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله ونبيه محمد الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد.

أخواتي في الله حديثنا في هذا اللقاء إن شاء الله تَعَالَى عن موضوع: التسويف وبيان أنه عدو النجاح.

والتسويف: هو تأخير العمل، من قولك: سأفعل كذا [١]. ويقولون: فلان يقتات التسويف، أَيْ: يَعِيشُ بِالْأَمَانِي [٢].

إن التسويف في الأعمال وتأخير الأولويات لوقتٍ لاحق مع القدرة طريق العاجزين، لا طريق الناجحين، وعاقبته الندامة والحرمان؛ لأنه استجابة لدعوة الشيطان، وقد قال سُبحَانَهُ في كتابه الكريم عن دعوة الشيطان: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٩]. ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦].

---

(١) يراجع: «العين».

(٢) يراجع: «مختار الصحاح».

إن شرعنا الحكيم يحثنا على العزيمة، و ترك التسويف في الأعمال، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد: ٢١]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤﴾ [آل عمران: ١١٤]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾ [البقرة: ١٤٨]. وقال عَزَّوَجَلَّ في شأن نبيه زكريا عليه الصلاة والسلام: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠]. وفي هذه الآية دليل على أن المسارعة في الخيرات من أسباب استجابة الدعاء، وكم يحرص الذي يدعو ربه على استجابة دعائه، فليسابق إلى الخير؛ ليكون دعاؤه مستجابًا بإذن الله سبحانه.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ [المطففين: ٢٦].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١]. هذه أربع صفات للمسارعين إلى الخير، من توفرت فيه فهو مسارع إلى الخير:

-﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ خشية الله سُبحَانَهُ، هذه الصفة من أعظم صفات المسارعين، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

-﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ الإيمان بآيات الله الشرعية والكونية.

-﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ موحِّدون يعبدون الله عَزَّوَجَلَّ لا يشركون به شيئًا.

-﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ يخشون من عدم تقبُّلِ أعمالهم؛ لأنه قد يكون هناك مانع من تقبل العمل، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧]، قد يكون هناك دسيسة سيئة في القلب: كحُبِّ الظهور، و(حب الظهور يقصم الظهور)، حب الرئاسة والشهرة، قد يكون هناك ابتغاء محمدة الناس وثنائهم، قد يكون هناك رياء، قد يكون لأجل مطامع دنيوية، وخاصة في أزمنتنا هذه قد تفسد النية فيقضي السنين في الدروس والحفظ وطلب العلم ولا يريد بذلك إلا الشهادة، لا يبتغي بذلك إلا المنزلة في الدنيا، الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: ١٨]، فيذهب عمله سُدًى، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧]، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا الإخلاص وأن يتقبل منا.

أيها الأخوات إن نبينا محمدًا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يحثنا على الهمة والعزيمة، ويحذرنا من التسويف في الأعمال، روى البخاري (٦٤١٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**».

يحفز النّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ على استغلال هاتين النعمتين وترك التسويف، فإن التسويف يفوت الخير، وعاقبته الحرمان والندامة.

وروى الإمام مسلم (٢٦٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**».

احرص على ما ينفعك، ابذل الجهد في منافعك ومصالحك الدينية والدنيوية، وفيه الحث على ترك التسويف في الأعمال الصالحة.

التسويف في الأعمال خسارة أرباح، يقول الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾ [الصف]. أي: تجارة رابحة، هذه أخواتي في الله هي التجارة الرابحة الحقيقيَّة، لا تجارة الدنيا ومتاعها الفاني، ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ [النساء: ٧٧].

وقد كان النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ –الذي هو أُسوتنا وقدوتنا–أكمل الناس عبادةً، وأشدهم مسارعة إلى الخير، روى البخاري (٨٥١) عَنْ عُقْبَةَ بن الحارث، قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ العَصْرَ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقَالَ: «**ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ**».

«**تِبْرٍ**» التبر: الذهب. «**فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي**» أي: يشغلني، مسارعة عجيبة حتى إن الصحابة عجبوا وفزعوا من سرعة النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأن هذا غير معهود من فعل النّبيّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقد كان إذا صلى يبقى يذكر الله في مصلاه، وهذا من السنن أن يبقى المصلي في مصلاه ليقرأ الأذكار، وربما إذا قال الإنسان: أقرأ الأذكار بعد أن أقوم من المجلس، قد يُشغل، قد ينسى قراءة الأذكار، وهذا داخل في التسويف في الأعمال؛ لأنه أخَّر العمل.

ومن مسارعة النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الأعمال الصالحة مع أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، روى الإمام ابن حبان (٦٢٠) عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ، عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا، فقَالَ: أَقُولُ يَا أُمَّهْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا، قَالَ: فَقَالَتْ: دَعُونَا مِنْ رَطَانَتِكُمْ هَذِهِ، قَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ: أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي**» قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ ، قَالَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْآيَةَ كُلَّهَا [آل عمران: ١٩٠]**»» وهو في «الصحيح المسند» (١٦٢٧) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

انظرن بارك الله فيكن إلى هذا الموقف العجيب، وفي هذا تقوية لحمل النفوس على الجد في طاعة الله، والحث على التفكر في عظمة الله، وتدبر القرآن. وقد بكى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حتى بلَّ ما حوله من الأرض. الخشية هي خشية القلوب، كم نفقدها يا أخوات؟! لقد ماتت القلوب وبعُدت عن رُشدها إلا ما رحم ربي، نسأل الله العافية لنا ولكنَّ.

وهنا أيضًا في هذا الحديث عبيد بن عمير التابعي الجليل يسأل أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن أعجب شيء رأت من النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فسكتت؛ لأنه سأل عن سؤال دقيق، عن سؤالٍ ذي شأن: «أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَسَكَتَتْ» وأعجب أفعل تفضيل يدل على المشاركة وزيادة، كأنه يقول: أعجب شيء رأيته من النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حياته كلها. ثم ذكرت له عائشة عبادة النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في ليلة من الليالي، وأنه لما دخل إليها رغب أن يتفرغ للعبادة فقال: «**يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي**».

فكان جوابها له: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ» جواب في غاية الأدب والاحترام، وفي غاية الود والإكرام، «وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ» وهو النوم مع النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وقد جاء في رواية «وَقَدْ دَخَلْتُ فِرَاشِي، فَدَخَلَ مَعِي حَتَّى لَصَقَ جِلْدَهُ بِجِلْدِي» رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٦١٨).

«وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ» أي: أنا موافقة أن تتفرغ هذه الليلة للعبادة؛ لأني «أُحِبُّ مَا سَرَّكَ»، ولم يؤثِّر قولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للنّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ» وهي ابنة شابة صغيرة، بل نهض لعبادة ربه عَزَّوَجَلَّ.

وهكذا كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يربي الصحابة على المسارعة إلى الخير، وترك التسويف في الأعمال، ومن هذا:

عن عبد الله بن عمر، قَالَ: إِنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانُوا يَرَوْنَ الرُّؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُصُّونَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَأَنَا غُلَامٌ حَدِيثُ السِّنِّ، وَبَيْتِي المَسْجِدُ قَبْلَ أَنْ أَنْكِحَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَرَأَيْتَ مِثْلَ مَا يَرَى هَؤُلاَءِ، فَلَمَّا اضْطَجَعْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ قُلْتُ: اللَّهُمَّ

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ فِيَّ خَيْرًا فَأَرِنِي رُؤْيَا، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَنِي مَلَكَانِ، فِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، يُقْبِلانِ بِي إِلَى جَهَنَّمَ، وَأَنَا بَيْنَهُمَا أَدْعُو اللَّهَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهَنَّمَ، ثُمَّ أُرَانِي لَقِيَنِي مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ: لَنْ تُرَاعَ، نِعْمَ الرَّجُلُ أَنْتَ، لَوْ كُنْتَ تُكْثِرُ الصَّلاَةَ. فَانْطَلَقُوا بِي حَتَّى وَقَفُوا بِي عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ البِئْرِ، لَهُ قُرُونٌ كَقَرْنِ البِئْرِ[1]، بَيْنَ كُلِّ قَرْنَيْنِ مَلَكٌ بِيَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَأَرَى فِيهَا رِجَالًا مُعَلَّقِينَ بِالسَّلاَسِلِ، رُءُوسُهُمْ أَسْفَلَهُمْ، عَرَفْتُ فِيهَا رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَانْصَرَفُوا بِي عَنْ ذَاتِ اليَمِينِ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**» فَقَالَ نَافِعٌ: «فَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْثِرُ الصَّلاَةَ» رواه البخاري (٧٠٢٨-٧٠٢٩)، ومسلم (٢٤٧٩).

وقوله: «لَنْ تُرَاعَ» أمَّنه من الخوف، و«شَفِيرِ جَهَنَّمَ» أي: ناحيتها.

وفي هذا الحديث: الحث على قيام الليل، وأنه وقاية من النار، كما نستفيد منه: أن هداية الإنسان لفعل الخير قد يكون بسبب رؤيا، فسبحان أرحم الراحمين!

ونستفيد منه: عدم التسويف في الأعمال، فعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا منذ أن حثه النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على قيام الليل لم يزل مسارعًا إلى قيام الليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وثبت عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْعِيدِ، فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ، ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى بِلَالٍ، فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ،

---

(١) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ٣٨): (له قَرْنَانِ كَقَرْنَيِ الْبِئْرِ) هُمَا الْخَشَبَتَانِ اللَّتَانِ عَلَيْهِمَا الْخُطَّافُ، وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الَّتِي فِي جَانِبِ الْبَكْرَةِ قاله ابن دُرَيْدٍ، وَقَالَ الْخَلِيلُ هُمَا: مَا يُبْنَى حَوْلَ الْبِئْرِ وَيُوضَعُ عَلَيْهِ الْخَشَبَةَ الَّتِي يَدُورُ عَلَيْهَا الْمِحْوَرُ وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الَّتِي تَدُورُ عَلَيْهَا الْبَكْرَةُ.

وَحَثَّ عَلَى طَاعَتِهِ، وَوَعَظَ النَّاسَ وَذَكَّرَهُمْ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ، فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ، فَقَالَ: «**تَصَدَّقْنَ، فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ**»، فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ سِطَةِ النِّسَاءِ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ، فَقَالَتْ: لِمَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**لِأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ**»، قَالَ: فَجَعَلْنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ، يُلْقِينَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ مِنْ أَقْرِطَتِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ. رواه مسلم (٨٨٥)

وقوله: «سِطَةِ النِّسَاءِ» أَيْ: مِنْ أَوْسَاطِهِنّ حَسبا ونَسَبا. كما في «النهاية» (٢/٣٦٦).

السُّفْعَةُ: نوعٌ مِنَ السَّوَادِ لَيْسَ بِالْكَثِيرِ. وَقِيلَ: هُوَ سوادٌ مَعَ لَوْنٍ آخَرَ. كما في «النهاية»(٢/ ٣٧٤) أيضًا.

ونستفيد من هذا الحديث: الحرص على الخير وعلى التفقه في الدين، وهذا شأن الصحابيات محبة العلم النافع والحرص عليه.

وفيه سرعة مبادرة أولئك الصحابيات إلى الصدقة، مباشرة بعد هذه النصيحة والموعظة نزعن الخواتيم والأقرطة، وجعلن يلقين في ثوب بلال، ولم يقلن: إذا رجعنا إلى البيت نعطي الصدقة، ولكن مباشرة من غير تردد، والنفس أمارة بالسوء، النفس من وصفها أنها لوامة، ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة: ٢]. تلوم على فعل الخير وتلوم على اجتناب الشر، قد يكون عندكِ عزيمة على فعل الخير ولكن أجَّلتِ دقائق أو ساعات فتلومكِ نفسكِ على الترك، وقد يكون عندكِ مال فتقول لكِ نفسكِ: أخِّري المال، أو أنتِ تحتاجين إلى هذا. فتلوم النفس ويفوت الخير والعمل الصالح، وهذا من مساوئ التسويف في الأعمال الصالحة.

وثبت عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كُنْتُ سَاقِيَ القَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الفَضِيخَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَادِيًا يُنَادِي: «أَلاَ إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ» قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ، فَأَهْرِقْهَا، فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا، فَجَرَتْ فِي سِكَكِ المَدِينَةِ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: قَدْ

قُتِلَ قَوْمٌ وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ [المائدة: ٩٣] الآيَةَ». رواه البخاري (٢٤٦٤)، ومسلم (١٩٨٠). مباشرة كفَّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن شرب الخمر وما ترددوا طرفة عين، أو قالوا: نشرب هذا الكأس ثم نتوب، مع أن هذا من أشربتهم، فقد كانت أشربتهم النبيذ، يضعون مثلًا في الشعير ماء وبعد ساعات أو يوم يشربون ماءه عصيرًا، أو التمر أو الزبيب يُصب عليه ماء ويخرج منه عصير ثم يُشرَبُ، ولكن بعد أن يصير خمرًا هذا يحرم شربه.

وماذا قال طلحة لأنس؟ «اخْرُجْ، فَأَهْرِقْهَا» أي: اسكبه.

«فَجَرَتْ فِي سِكَكِ المَدِينَةِ» أي: طرق المدينة.

«فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: قَدْ قُتِلَ قَوْمٌ وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ» أي: حزنوا عليهم.

وثبت عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلَ، لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١] شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا» رواه البخاري (٤٧٥٨).

يعني: مبادرة فورًا إلى الحجاب من غير تسويف، ومن غير مشاورة، هذا دين الله عَزَّوَجَلَّ، هذا حق الله عَزَّوَجَلَّ، هذا لا يكون فيه مشاورة ولا يكون فيه تسويف. تقولين: أنا أشاور، هذا من التسويف في الأعمال.

حياة الصحابة حياة جد وعزيمة، حياة همم رفيعة، رجالًا ونساءً، حتى إنهم كانوا يتسابقون في البِشارات الخيرية ولا يتأخرون ولا يسوِّفون، فإن البشارة بالخير من أجلِّ القربات والطاعات، فكانوا إذا سمعوا البِشارة مباشرة يبشرون المُبَشِّر، كعب بن مالك بسبب

تأخره عن غزوة تبوك لغير عذر أمر النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بهجره، وهجر صاحبيه هلال ومرارة، فهجرهم الناس حتى كملت خمسون ليلة، قال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاةَ الفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا» ظهر بيت: سطح البيت. «فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي» كربة عظيمة، حتى إن نفسه ضاقت عليه. «وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ» أي: بوسعها. «سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ» أوفى: أي ارتفع على جبل. «يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا»، وهذا يفيد استحباب سجود الشكر عند تجدُّدِ نعمة، هذا من المستحبات. «وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ» كلهم متنافسون في البشارة. «وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا، بِبُشْرَاهُ» هذا يفيد مكافأة المبشِّر بعطاء. «وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَ يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا» فيه ما كانوا عليه من ضيق الحال، ما كان عند هذا الصحابي إلا ثوبان رداء وإزار، ولكن لشدة فرحه نزع ثوبَيه وأعطاهما البشير، فقد كان في كربة شديدة ومصيبة عظيمة، فذهب إلى النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى المسجد النبوي المعروف بالمدينة قال في الحديث: «وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنِّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ» كان الصحابة متحابِّين كما وصفهم الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. وكانوا والله يحزنون لحزن بعضهم، فقد أصيبوا بالحزن لحزن كعب بن مالك وصاحبيه هلال ومرارة؛ فلهذا الناس يستقبلون كعب بن مالك بحفاوة وبشاشة وفرح عظيم، ثم دخل المسجد والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جالس في المسجد، فقام طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو أحد المبشرين بالجنة: «قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ» يبرق وجهُه من السرور والفرح بتوبة الله على كعب بن مالك وصاحبيه، ثم قال كعب: «أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ» ونستفيد من هذا: أن التائب من الذنب يستحب له أن يتصدق عن نفسه بشيْءٍ، ثم قال كعب: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لاَ أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا، مَا بَقِيتُ. فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيتُ»(١).

وهذا يفيدنا فضل الصدق، فعليكِ بالصدق، فالصدق منجاة، قَالَ اللَّهُ سبحانه: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩].

هذا كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أصيب بكربة عظيمة ثم فرج الله عَزَّوَجَلَّ عنه، وقد كان هجره النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو أحبُّ إليهم من أنفسهم ومن أولادهم ومن نسائهم، وهجره القريب

(١) حديث قصة كعب في الصحيحين» البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

والبعيد، حتى إن كعب بن مالك قال: «مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ (١) جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِاللهِ (٢) هَلْ تَعْلَمَنَّ أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ قَالَ: فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ (٣)، وَتَوَلَّيْتُ، حَتَّى تَسَوَّرْتُ

ولما علم ملك غسان أن النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد هجر كعب بن مالك أرسل إليه برسالة، قال كعب: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ، حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، وَكُنْتُ كَاتِبًا».

كان رسول ملك غسان في السوق يسأل: أين كعب بن مالك؟ فجعل الناس يشيرون إليه إشارة من غير كلام؛ لأنهم كانوا مأمورين بهجر كعب وصاحبَيه، والصحابة كانوا لا يخالفون للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أمرًا.

ولما قرأ الرسالة، قال كعب: «فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ، قَالَ فَقُلْتُ: حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَامَمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهَا بِهَا» نستفيد من هذا أن أهل السوء يتحيَّنون فُرَص ضعف الإنسان؛ لأنه في حالة الضعف لا يثبت إلا من ثبته الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) «تَسَوَّرْتُ» أي: صعدت عليه.

(٢) «أَنْشُدُكَ بِاللهِ» أي: أسألك بالله.

(٣) «فَفَاضَتْ عَيْنَايَ» أي: سالت عيناه بالدموع.

«فَتَيَامَمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهَا بِهَا» نستفيد منه: أنه إذا كان يوجد رسالة تخشين على نفسك الفتنة منها فاحذفيها، إذا كانت في جوال تُحذَف، وإن كانت في ورقة تُحْرَق؛ لأن النفس قد ترغب في الاطلاع عليها مرة أخرى، ولا يُؤمَن على النفس.

الشاهد: تنافس الصحابة في البِشارات من غير تردُّد ولا تسويف، وإنما ذكرنا هذه الاستنباطات؛ رغبة في إفادة المستمعات وتذكيرهن بعض ما قد يُجهَلُ.

وفي «مسند الإمام أحمد» (١٧٥): عَنْ عمر بن الخطاب الحديث وفيه: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَا يَزَالُ يَسْمُرُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اللَّيْلَةَ، كَذَاكَ فِي الأَمْرِ مِنْ أَمْرِ المُسْلِمِينَ، وَإِنَّهُ سَمَرَ عِنْدَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَأَنَا مَعَهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَخَرَجْنَا مَعَهُ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَقَامَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَسْتَمِعُ قِرَاءَتَهُ، فَلَمَّا كِدْنَا أَنْ نَعْرِفَهُ، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ القُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**»، قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ الرَّجُلُ يَدْعُو، فَجَعَلَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُ: «**سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ**». قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُلْتُ: وَالله لَأَغْدُوَنَّ إِلَيْهِ فَلَأُبَشِّرَنَّهُ، قَالَ: فَغَدَوْتُ إِلَيْهِ لِأُبَشِّرَهُ، فَوَجَدْتُ أَبَا بَكْرٍ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ، فَبَشَّرَهُ، وَلَا، وَالله مَا سَبَقْتُهُ إِلَى خَيْرٍ قَطُّ، إِلَّا وَسَبَقَنِي إِلَيْهِ».

شهد النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن مسعود بأنه من القرَّاء المتقنين، وحث على الاستفادة منه، ونسبه النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى أمه «**أم ابن عبد**»؛ لأن أمه أم عبد الله مُسلمة، أما أبوه مسعود بن غافل فمات كافرًا، فلهذا نسبه النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى أمه. ثم قال النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ**» يقول هذا لابن مسعود، وابن مسعود لا يسمعه. «**سَلْ تُعْطَهْ**» أي: ادع في ذلك الوقت بما شئت فدعاؤك مستجاب.

«وَالله لَأَغْدُوَنَّ إِلَيْهِ فَلَأُبَشِّرَنَّهُ» الغدو: الذهاب في أول النهار.

«فَوَجَدْتُ أَبَا بَكْرٍ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ» أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اللذان يطعن فيهما الروافض- قاتلهم الله-وهما صاحبا المنزلة الرفيعة، أبو بكر أجلُّ أصحاب النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويليه عمر، ويليهما عثمان، ويليهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فانظرن أخواتي في الله كيف مسابقة هذين الصحابيين إلى بشارة ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان أبو بكر أسبق من عمر، وفي هذا المعنى ما رواه الترمذي(٣٦٧٥): عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، يَقُولُ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: وَسَلَّمَ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**» قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا». رأى عمر بن الخطاب أنه عاجز عن مسابقة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

وفي أمر النّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أصحابه بالصدقة حث الإمام والكبير بالصدقة عند الحاجة؛ لكن النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يكن يضع صندوقًا لوضع الصدقة فيه، كما هي طريقة الإخوان المسلمين، فهذا ليس من منهجنا وضع الصندوق لوضع الصدقات فيه.

عرفنا أن النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يربي صحابته على عدم التسويف والمبادرة في الأعمال.

والتسويف في الأعمال له آفات، فالتسويف في الأعمال بئست البضاعة، وهي طريق الحرمان والندامة، ولنا عبرة بما حصل لكعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي كان من خبره أنه تخلف عن غزوة تبوك قال: «وَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، إِذَا أَرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ،

فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذَلِكَ لِي، فَطَفِقْتُ، إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ، بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟» قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ يَا رَسُولَ اللهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ».

«مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟» سأل عنه النّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لأنه كان يتفقد أصحابه.

هذا الحديث نستفيد منه: التحذير من التسويف في الأعمال وأنه سبب للحرمان.

وهناك مقالة ذكرها ابن الجوزي في «صيد الخاطر»(٢٠٦): وإياك والتسويف، فإنه أكبر جنود إبليس. اهـ.

وقال ابن القيم: فَإِنَّ التَّمَنِّيَ رَأْسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ[1].

يعني: صاحب التسويف قد يُحرم، فما يدريه أنه في الغدِ من الأموات، وما يدريه أنه يكون من الأمراض، وما يدريه أنه يعرض له شواغل وصوارف؛ ولهذا النّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يقول: **«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا**

(١)«زاد المعاد» (٢/٣٢٦).

وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» أخرجه مسلم (١١٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أي: قبل نزول الفتن.

حثَّنا نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث على ترك التسويف في الأعمال الصالحة، فالصوارف كثيرة، والموت يأتي بغتة، يأتي فجأة، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

وَإِذَا المِنيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ❁ ❁ ❁ أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

وربنا سُبحَانَهُ يقول: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤].

وقد كان والدي رَحِمَهُ اللَّهُ في رحلته الأخيرة وفي مرض وفاته عندما كان ينتقل من مكان إلى آخر للعلاج، كان يردِّد كثيرًا قول النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً، أَوْ قَالَ: بِهَا حَاجَةً»** رواه الترمذي (٢١٤٧) والحديث في «الصحيح المسند» (١٢٣٨) لوالدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

يُذَكِّر نفسه لعل أجلك في غير بلدك ومعهدك، فقد يأتي الوفاة وليست في الحسبان؛ ولهذا أخواتي في الله علينا أن نترك التسويف.

يا طالبة العلم كوني ذا همَّة عالية وعزيمة قوية، ودعي التسويف، لا تؤخري عمل اليوم إلى الغد، فلا تقولي: هذا أتركه إلى غدٍ لغير عذر.

ولا أؤخر شُغْل اليوم عن كَسَلٍ ❁ ❁ ❁ إلى غَدٍ إِنَّ يَوْمَ العَاجزينَ غَدُ

فعل العاجزين غد، بل لا تؤخري عمل الصباح إلى المساء، ولا عمل المساء إلى الصباح، وللتأخير آفات قد يأتي صوارف، وتتراكم عليك الأعمال، فمثلًا: المحفوظات،

وتراكم الدروس، والمراجعة، وقد يضيق الوقت عليك فتُحْرمين، ولا تقولي: هذا لا أرغب فيه، هذا لا أحبه، هذا من التسويف في الأعمال. كم من واحدة تقول هذا، وما هي إلا شهور أو سنين ثم ترى أنها حُرِمت وأنها كانت مخطئة، وأنها لابد أن تتفقه في دين الله عَزَّوَجَلَّ. فاحذرن من التسويف: لعلي أحفظ كذا بعد أسبوع، بعد شهر، وبعد كذا، هذا من التسويف، وقد تُصرفين بالكليَّة.

ولا تُرجِ فعل اليوم إلى غد ❁ ❁ ❁ لعل غدا يأتي وأنت فقيد

وإن من أعظم أسباب التسويف:

- ضعف الهمة.

- الذنوب، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩]. طرق الخير أمامك، العلم موجود والصحة موجودة، وتُحرمين قد يكون هذا بسبب الذنوب.

- طول الأمل من أشدِّ الأسباب، يقول القائل: الموت بعيد عني، لعلي أموت وأنا في سن الثمانين، ما زلت في سن الشباب، ونسي أن الموت يأتي فجأة، أو يقول: أنا بعافية، لا يتوقع أنه يمرض، هذا من طول الأمل. وطول الأمل من الأمراض وهو من أعظم أسباب التسويف، ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر: ٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طريق الهجرتين» (٢٧٤): فليس للعبد أنفع من قصر الأمل، ولا أضر من التسويف وطول الأمل.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مدارج السالكين»(١/٤٦٨): الْجِدُّ هُوَ صِدْقُ الْعَمَلِ، وَإِخْلَاصُهُ مِنْ شَوَائِبِ الْفُتُورِ، وَوُعُودِ التَّسْوِيفِ وَالتَّهَاوُنِ، وَهُوَ تَحْتَ السِّينِ وَسَوْفَ، وَعَسَى، وَلَعَلَّ، فَهِيَ أَضَرُّ شَيْءٍ عَلَى الْعَبْدِ، وَهِيَ شَجَرَةٌ ثَمَرُهَا الْخُسْرَانُ وَالنَّدَامَاتُ.

فينبغي تقصير الأمل ومعالجته بكثرة ذكر الموت، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ**» رواه النسائي (١٨٢٤)، وهو في «الجامع الصحيح»(١١٥٠) لوالدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

كلنا عندنا عجز وضعف، فعلينا أن نجاهد وأن نكثر من الدعاء أن يرزقنا الله العزيمة، إذا رزقنا العزيمة ذهب عنا داء التسويف، النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ علَّم حصينًا والد عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال له: «**قل: اللهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي، وَاعْزِمْ لي عَلَى رُشْدِ أَمْرِي**» رواه النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمل اليوم والليلة» (٩٩٣).

ويقول النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَاكْنِزُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**» رواه الإمام أحمد (٢٨/٣٣٨) عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ.

أسأل الله أن يرزقنا صدق العزيمة، وأن يقينا شر أنفسنا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا.

تم إلقاء هذه المحاضرة ولله الحمد والمنة.

ليلة السبت الموافق ٢١/ من شهر ربيع ثاني/ لعام ١٤٤٣ للهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة والسلام.

تم بحمد الله